الباب الحادي والعشرون

في الحُكم بين الفريقين، والفصل بين الطائفتين

فيقول: كل أمرين طلبت الموازنة بينهما ومعرفة الراجح منهما على المرجوح فإن ذلك لا يمكن إلا بعد معرفة كل منهما وقد ذكرنا حقيقة الصبر وأقسامه وأنواعه ونذكر حقيقة الشكر وماهيته.

قال في «**الصحاح**»: الشكر الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له واللام أفصح، وقوله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩). يحتمل أن يكون مصدراً كالقعود وأن يكون جمعاً كالبرود والكفور والشكران خلاف الكفران وتشكرت له مثل شكرت له والشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل واشتكرت السماء اشتد وقع مطرها واشتكر الضرع امتلأ لبناً، تقول: منه شكرت الناقلة بالكسر تشكر شكراً فيه شكرة وشكرت الشجرة تشكر شكراً إذا خرج منها الشكير وهو ما ينبت حول الشجرة من أصلها.

فتأمل هذا الاشتقاق وطابق بينه وبين الشكر المأمور به وبين الشكر الذي هو جزاء الرب الشكور كيف نجد في الجميع معنى الزيادة والنماء ويقال أيضاً: دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف.

وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شكوراً إلا بمجموعها: **أحدها**: اعترافه بنعمة الله عليه. **والثاني**: الثناء عليه بها. **والثالث**: الاستعانة بها على مرضاته.

وأما قول الناس في الشكر فقالت طائفة: هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وقيل: الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه إليه فشكر العبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وقيل: شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ

الحرمة والقيام بالخدمة، وقيل: شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيلياً، وقيل: الشكر معرفة العجز عن الشكر، ويقال: الشكر على الشكر أتم من الشكر وذلك أن ترى شكرك بتوفيقه وذلك التوفيق من أجل النعم عليك تشكر على الشكر ثم تشكره على الشكر ألا ترى نفسك للنعمة أهلا، وقيل: الشكر استفراغ الطاقة في الطاعة، وقيل: الشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر على المفقود وقيل الشاكر الذي على الرفد والشكور الذي يشكر على الرد، وقيل: الشاكر الذي يشكر على النفع والشكور الذي يشكر على المنع وقيل الشاكر الذي يشكر على العطاء والشكور الذي يشكر على البلاء.

قال الجنيد: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين وبيننا جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: ألا تعصي الله بنعمة، فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك، فلا أزل أبكي على هذه الكلمة التي قالها السريّ، وقال الشبلي: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم وهذا ليس بجيد بل من تمام الشكر أن تشهد النعمة من المنعم وقيل: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود. وقال أبو عثمان: شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني.

وحبس السلطان رجلاً فأرسل إليه صاحبه: اشكر الله، فضرب فأرسل إليه: اشكر الله فجيء بمحبوس مجوسي مبطون فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في الرجل المذكور فكان المجوسي يقوم بالليل مرات فيحتاج الرجل أن يقف على رأسه حتى يفرغ فكتب إليه صاحبه: اشكر الله، فقال له: إلى متى تقول: اشكر الله وأي بلاء فوق هذا؟ فقال: ولو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع فاشكر الله.

ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال: اللص دخل داري وأخذ متاعي فقال: اشكر الله فلو دخل اللص قلبك ـ وهو الشيطان ـ وأفسد عليك التوحيد ماذا كنت تصنع؟ وقيل: شكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه، وقيل: اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر، وقيل: أربعة لا ثمرة لهم:

ماشورة الأصم ووضع النعمة عند من لا يشكرها والبذر في السباخ والسراج في الشمس.

والشكر يتعلق بالقلب، واللسان، والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه، وقال الشاعر:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً: يدي، ولساني، والضمير المحجّبا

والشكر أخص بالأفعال والحمد أخص بالأقوال وسبب الحمد أعم من سبب الشكر ومتعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد فما يحمد الرب تعالى عليه أعظم مما يشكر عليه فانه يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه ويشكر على نعمه وما يحمد أخص مما يشكر به فإنه يشكر بالقلب واللسان والجوارح ويحمد بالقلب واللسان.

فصل الصبر والشكر كلٌ متداخل بالآخر

إذا عرف هذا فكل من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر لا يمكن وجوده إلا به وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه وإلا فحقيقة الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة والفعل، فإن الشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته والصبر أصل ذلك فالصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر وإذ كان الصبر مأموراً به فأداؤه هو الشكر.

فإن قيل: فهذا يفهم منه اتحاد الصبر والشكر وإنهما اسمان لمسمًى واحد وهذا محال عقلاً ولغة وعرفاً وقد فرق الله سبحانه بينهما، قيل: بل هما معنيان متغايران وإنما بينا تلازمهما وافتقار كل واحد منهما في وجود ماهيته إلى الآخر ومتى تجرد الصبر عن الشكر بطل كونه شكراً، وإذا تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه صبراً، الأول: فظاهر وأما الثاني: إذا تجرد عن الشكر كان كفوراً ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافاة السخوط.

فإن قيل: بل ههنا قسم آخر وهو أن لا يكون كفوراً ولا شكوراً بل صابراً

على مضض وكراهة شديدة فلم يأت بحقيقة الشكر ولم يخرج عن ماهية الصبر، قيل: كلامنا في الصبر المأمور به الذي هو طاعة لا في الصبر الذي هو تجلد كصبر البهائم وصبر الطاعة لا يأتي به إلا شاكر ولكن اندرج شكره في صبره، فكان الحكم للصبر كما اندرج صبر الشكور في شكره فكان الحكم للشكر فمقامات الإيمان لا تعدم بالتنقل فيها بل تندرج وينطوي الأدنى في الأعلى كما يندرج الإيمان في الإحسان، وكما يندرج الصبر في مقامات الرضا لا أن الصبر يزول ويندرج الرضا في التفويض ويندرج الخوف والرجاء في الحب لا أنهما يزولان فالمقدور الواحد يتعلق به الشكر والصبر سواء أكان محبوباً أو مكروهاً فالفقر مثلاً يتعلق به الصبر وهو أخص به لما فيه من الكراهة ويتعلق به الشكر لما فيه من النعمة فمن غلب شهود نعمته وتلذذ به واستراح واطمأن إليه عده نعمة يشكر عليها ومن غلب شهود ما فيه من الابتلاء والضيق والحاجة عده بلية يصبر عليها وعكسه الغني.

على أن الله سبحانه ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصائب وعد ذلك كله ابتلاء فقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥). وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ (الفجر: ١٥ ـ ١٦). وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧) وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢) وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧) فأخبر سبحانه أنه خلق العالم العلوي والسفلي، وقدر أجل الخلق وخلق ما على الأرض للابتلاء والاختبار وهذا الابتلاء إنما هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم في الخير والشر والسراء والضراء فالابتلاء من النعم من الغنى والعافية والجاه والقدرة وتأتي الأسباب أعظم الابتلاءين والصبر على طاعة الله أشق الصبرين كما قال الصحابة رضي الله عنهم: ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر والنعمة بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأسبابها وأذى الخلق قد يكون أعظم النعمتين وفرض الشكر عليها أوجب من الشكر على أضدادها فالرب تعالى يبتلي بنعمه وينعم

بابتلائه غير أن الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد في أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره لا يستغني عنهما طرفة عين والسؤال عن أيهما أفضل كالسؤال عن الحس والحركة أيهما أفضل وعن الطعام والشراب أيهما أفضل وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل فالمأمور لا يؤدي إلا بصبر وشكر والمحظور لا يترك إلا بصبر وشكر وأما المقدور الذي يقدر على العبد من المصائب فمتى صبر عليه اندرج شكره في صبره كما يندرج صبر الشاكر في شكره.

ومما يوضح هذا أن الله سبحانه امتحن العبد بنفسه وهواه وأوجب عليه جهادهما في الله فهو في كل وقت في مجاهدة نفسه حتى تأتي بالشكر المأمور به ويصبر عن الهوى المنهي عن طاعته فلا ينفك العبد عنهما غنياً كان أو فقيراً معافى أو مبتلى وهذه هي مسألة الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل؟ وللناس فيها ثلاثة أقوال وهي التي حكاها أبو الفرج بن الجوزي وغيره في عموم الصبر والشكر أيهما أفضل؟ وقد احتجت كل فرقة بحججٍ وأدلة على قولها.

والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تعالى فإن فرض استواؤهما في التقوى استويا في الفضل فإن الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافية والبلاء وإنما فضل بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) وقد قال ﷺ: «**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ولا فضل لعجمي على عربي إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب**». والتقوى مبنية على أصلين: الصبر والشكر وكل من الغني والفقير لا بد له منهما فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل فإن قيل فإذا كان صبر الفقير أتم فأيهما أفضل.

قيل: أتقاهما لله في وظيفته ومقتضى حاله ولا يصح التفضيل بغير هذا البتة فإن الغني قد يكون أتقى لله في شكره من الفقير في صبره وقد يكون الفقير أتقى لله في صبره من الغني في شكره، فلا يصح أن يقال: هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل ولا يصح أن يقال: هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر ولا بالعكس لأنهما مطيتان للإيمان لا بد منهما بل الواجب أن يقال: أقومهما بالواجب والمندوب هو الأفضل فان التفضيل تابع لهذين الأمرين كما قال تعالى في الأثر

الإلهي: «**ما تقرّب اليّ عبدي بمثل مداومة ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه**». فأي الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضل.

فإن قيل: قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة عام**». قيل: هذا لا يدل على فضلهم على الأغنياء في الدرجة وعلو المنزلة وإن سبقوهم بالدخول فقد يتأخر الغني والسلطان العادل في الدخول لحسابه فإذا دخل كانت درجته أعلى ومنزلته أرفع كسبق الفقير القفل في المضائق وغيرها ويتأخر صاحب الأحمال بعده.

فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ للفقراء لما شكوا إليه زيادة عمل الأغنياء عليهم بالعتق والصدقة: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه أدركتم به من سبقكم فدلهم على التسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة فلما سمع الأغنياء ذلك عملوا به فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**». وهذا يدل على ترجيح حال الغني الشاكر قيل: هذا حجة للقول الذي نصرناه وهو أن أفضلهما أكثرهما نوافل فان استويا استويا وههنا قد ساوى الأغنياء الفقراء في أعمالهم المفروضة والنافلة وزادوا عليهم بنوافل: العتق والصدقة وفضلوهم بذلك فساووهم في صبرهم على الجهاد والأذى في الله والصبر على المقدور وزادوا عليهم بالشكر بنوافل المال فلو كان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الأغنياء لفضلوهم بها.

فإن قيل: إن النبي ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوز الدنيا فردها وقال: «**بل أشبع يوماً وأجوع يوماً**». وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهما قالت: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز البر ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على طعام أخذه لأهله.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن عبادة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن محمد حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليّ امرأة من الأنصار فرأت فراش النبي ﷺ عباءة مثنية فرجعت إلى منزلها فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله ﷺ فقال: ما هذا فقلت: فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فبعثت إليّ بهذا فقال: ردّيه، فلم أرده، وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال لي ذلك ثلاث مرات فقال: «**يا عائشة رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة**». فرددته ولم يكن الله سبحانه ليختار لرسوله إلا الأفضل هذا مع أنه لو أخذ الدنيا لأنفقها كلها في مرضاة الله ولكان شكره بها فوق شكر جميع العالمين.

قيل: احتج بحال رسول الله ﷺ كل واحدة من الطائفتين والتحقيق أن الله سبحانه وتعالى جمع له بين المقامين كليهما على أتم الوجوه وكان سيد الأغنياء الشاكرين وسيد الفقراء الصابرين، فحصل له من الصبر على الفقر ما لم يحصل لأحد سواه ومن الشكر على الغنى ما لم يحصل لغني سواه ومن تأمل سيرته وجد الأمر كذلك فكان ﷺ أصبر الخلق في مواطن الصبر وأشكر الخلق في مواطن الشكر وربه تعالى كمل له مراتب الكمال فجعله في أعلى رتب الأغنياء الشاكرين وفي أعلى مراتب الفقراء الصابرين قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ (الضحى: ٨).

وأجمع المفسرون أن العائل هو الفقير يقال: عال الرجل يعيل إذا افتقر وأعال يعيل إذا صار ذا عيال مثل لبن وألبن وأثرى إذا صار ذا لبن وثمر وأثروة وعال يعول إذا جار ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ (النساء: ٣) وقيل: المعنى ألا تكثر عيالكم والقول هو الأول لوجوه:

أحدها: أنه لا يعرف في اللغة عال يعول إذا كثر عياله، وإنما المعروف في ذلك أعال يعيل، وأما عال يعول، فهو بمعنى الجور ليس إلا هذا الذي ذكره أهل اللغة قاطبة.

الثاني: أنه سبحانه قابل ذلك بالعدل الذي نقلهم عند خوفهم من فقده إلى الواحدة والتسري بما شاءوا من ملك أيمانهم ولا يحسن هنا التعليل بعدم العيال.

يوضحه الوجه **الثالث**: أنه سبحانه نقلهم عند الخوف من عدم القسط في نكاح اليتامى إلى من سواهن من النساء لئلا يقعوا في ظلم أزواجهم اليتامى وجوز لهم نكاح الواحدة وما فوقها إلى الأربع ثم نقلهم عند خوف الجور وعدم العدل في القسمة الى الواحدة أو النوع الذي لا قسمة عليهم في الاستمتاع بهن وهن الإماء فانتظمت الآية ببيان الجائز من نكاح اليتامى والبوالغ والأولى من ذينك القسمين عند خوف العدل فما لكثرة العيال مدخل ههنا البتة.

يوضحه الوجه **الرابع**: أنه لو كان المحذور كثرة العيال لما نقلهم إلى ما شاؤوا من كثرة الإماء بلا عدد فإن العيال كما يكونون من الزوجات ويكونون من الإماء ولا فرق فإنه لم ينقلهم إلى إماء الاستخدام بل إلى إماء الاستفراش.

يوضحه الوجه **الخامس**: أن كثرة العيال ليس أمراً محذوراً مكروهاً للرب تعالى كيف وخير هذه الأمة أكثرها نساء وقد قال النبي ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**». فأمر بنكاح الولود ليحصل منها ما يكاثر به الأمم يوم القيامة، والمقصود أنه سبحانه جعل نبيه غنياً شاكراً بعد أن كان فقيراً صابراً فلا تحتج به طائفة لحالها إلا كان للطائفة الأخرى أن تحتج به أيضاً لحالها.

فإن قيل: فقد كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من الشاكرين وقد قال الإمام أحمد في «**مسنده**»: حدثنا عبد الصمد حدثنا عمارة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: بينما عائشة في بيتها سمعت صوتاً في المدينة، فقالت: ما هذا فقالوا: عير لعبد الرحمن قدمت من الشام تحمل من كل شيء ـ قال: وقد كانت سبعمائة بعير ـ فارتجّتِ المدينة من الصوت فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً**». فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: إن استطعت لأدخلنها قائماً فجعلها بأحمالها وأقتابها كلها في سبيل الله قيل: قد قال الإمام أحمد هذا الحديث كذب منكر قالوا: عمارة يروي أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازي عمارة بن زاذان: لا يحتج به قال أبو الفرج: وقد روى الجراح بن منهال بإسناده عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال له: «**يا ابن عوف إنك من الأغنياء وإنك لا تدخل الجنة إلا زحفاً**

فأقرض ربك يطلق قدميك». قال أبو عبد الرحمن النسائي: هذا حديث موضوع، والجراح متروك الحديث، وقال يحيى: ليس حديث الجراح بشيء، وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه، وقال ابن حبان: كان يكذب وقال الدارقطني: متروك.

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذي رواه البيهقي من حديث أحمد بن علي بن إسماعيل بن محمد: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرني خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً، فأقرض الله يطلق قدميك قال: وما الذي أقرض يا رسول الله؟ قال: تتبرأ مما أمسيت فيه، قال: أمن كله أجمع يا رسول الله؟ قال: نعم، فخرج وهو يهتم بذلك، فأتاه جبريل، فقال: مر بن عوف، فليضف الضيف وليطعم المساكين، وليبدأ بمن يعول، وليعط السائل، فإذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه»**. قيل: هذا الحديث باطل لا يصح عن رسول الله ﷺ فإن أحد رواته خالد بن يزيد بن أبي مالك قال الإمام أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين: واه، وقال النسائي: غير ثقة، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال يحيى بن معين: لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على الصحابة.

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذي قاله الإمام أحمد: حدثنا الهذيل بن ميمون عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي قلت ما هذا قال: بلال فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين، وذراري المسلمين، ولم أر فيها أحداً أقل من الأغنياء والنساء قيل لي: أما الأغنياء فهم في الباب يحاسبون ويمحصون، وأما النساء فألهاهن الأحمران: الذهب والحرير، ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية، فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها أمتي في كفة، فرجحت بها، ثم أتي بأبي بكر، فوضع في كفة وجيء بجميع أمتي فوضعوا في كفة فرجح أبو بكر، ثم أتي بعمر، فوضع في**

كفة، ووضع أمتي في كفة، فرجح عمر وعُرضت عليّ أمتي رجلاً رجلاً، فجعلوا يمرون واستبطأت عبد الرحمن بن عوف، ثم جاء بعد الإياس فقلت: عبد الرحمن، فقال: بأبي وأمي يا رسول الله، والذي بعثك، بالحق ما خلصت إليك حتى ظننت أني لا أصل إليك إلا بعد المشيبات، قلت: وما ذاك؟ قال: قيل من كثرة مالي». أغلب هذا حديث لا يحتج بإسناده وقد أدخله أبو الفرج هو والذي قبله في كتاب «**الموضوعات**» وقال: أما عبيد الله بن زحر، فقال يحيى: ليس بشيء وعلي بن يزيد متروك، وقال ابن حبان: عبيد الله يروى الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن متن ذلك الخبر إلا بما عملته أيديهم، وقال أبو الفرج: «**وبمثل هذا الحديث الباطل يتعلق جملة المتزهدين، ويرون أن المال مانع من السبق إلى الخير، ويقولون: إذا كان ابن عوف يدخل الجنة زحفاً لأجل ماله كفى ذلك في ذم المال، والحديث لا يصح وحاشا عبد الرحمن المشهود له بالجنة أن يمنعه ماله من السبق؛ لأن جمع المال مباح وإنما المذموم كسبه من غير وجهه، ومنع الحق الواجب فيه، وعبد الرحمن منزّه عن الحالين وقد خلف طلحة ثلاثمائة حمل من الذهب وخلف الزبير وغيره ولو علموا أن ذلك مذموم لأخرجوا الكل وكم قاص يتسوف بمثل هذا الحديث يحث على الفقر ويذم الغنى فلله در العلماء الذين يعرفون الصحيح ويفهمون الأصول**» انتهى.

قلت: وقد بالغ في رد هذا الحديث وتجاوز الحد في إدخاله في الأحاديث الموضوعة المختلقة على رسول الله ﷺ وكأنه استعظم احتباس عبد الرحمن بن عوف وهو أحد السابقين الأولين المشهود لهم بالجنة عن السبق إليها ودخول الجنة حبواً ورأى ذلك مناقضاً لسبقه ومنزلته التي أعدها الله له في الجنة وهذا وهم منه رحمه الله.

وهب أنه وجد السبيل إلى الطعن في هذين الخبرين أفيجد سبيلاً إلى القدح في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل فقراء**

المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام». قال الترمذي: حديث حسن صحيح وفي حديث ابن عمر الذي رواه مسلم في **«صحيحه»** عن النبي ﷺ: **«أن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً»**.

وفي **«مسند الإمام»** أحمد عنه عن النبي ﷺ: **«هل تدرون أول من يدخل الجنة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم قال: **«فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء»**.

وفي **«جامع الترمذي»** من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً»**. فهذا الحديث وأمثاله صحيح صريح في سبق فقراء الصحابة إلى الجنة لأغنيائهم وهم في السبق متفاوتون، فمنهم من يسبق خمسمائة عام، ومنهم من يسبق بأربعين عاماً ولا يقدح ذلك في منزلة المتأخرين في الدخول، فإنهم قد يكونون أرفع منزلة ممن سبقهم إلى الدخول وإن تأخروا بعدهم للحساب، فإن الإمام العادل يوقف للحساب، ويسبقه من لم يل شيئاً من أمور المسلمين إلى الجنة، فإذا دخل الإمام العادل بعده كانت منزلته أعلى من منزلة الفقير بل يكون أقرب الناس من الله منزلة كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»**.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً: إمام عادل وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً: إمام جائر»**

فالإمام العادل والغني قد يتأخر دخول كل منهم للحساب ويكون بعد الدخول أرفع منزلة من الفقير السابق ولا يلزم من احتباس عبد الرحمن بن عوف لكثرة ماله حتى يحاسبه الله عليه ثم يلحق برسول الله ﷺ وأصحابه غضاضة عليه ولا نقص من مرتبته ولا يضاد ذلك سبقه وكونه مشهوداً له بالجنة وأما حديث دخوله الجنة زحفاً فالأمر كما قال فيه الإمام أحمد رحمه الله: إنه كذب منكر

وكما قال النسائي: إنه موضوع ومقامات عبد الرحمن وجهاده ونفقاته العظيمة وصدقاته تقتضي دخوله مع المارين كالبرق أو كالطرف أو كأجاويد الخيل ولا يدعه يدخلها زحفاً.

فصل ابتلاء الخلق بالغنى والفقر

والله سبحانه كما هو خالق الخلق فهو خالق ما به غناهم وفقرهم فخلق الغنى والفقر ليبتلي بهما عباده أيهم أحسن عملاً وجعلهما سبباً للطاعة والمعصية والثواب والعقاب قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥). قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء.

وقال ابن يزيد: نبلوكم بما تحبون وما تكرهون لننظر كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون.

وقال الكلبي: بالشر والفقر والبلاء والخير بالمال والولد فأخبر سبحانه أن الغنى والفقر مطيتا الابتلاء والامتحان، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ (الفجر: ١٥ ـ ١٦) فأخبر سبحانه أنه يبتلي عبده بإكرامه له وبتنعيمه له وبسط الرزق عليه كما يبتليه بتضييق الرزق وتقديره عليه وإن كليهما ابتلاء منه وامتحان ثم أنكر سبحانه على من زعم أن بسط الرزق وتوسعته إكرام من الله لعبده وأن تضييقه عليه إهانة منه له فقال: (كلا) أي ليس الأمر كما يقول الإنسان بل قد ابتلي بنعمتي وأنعم ببلائي.

وإذا تأملت ألفاظ الآية وجدت هذا المعنى يلوح على صفحاتها ظاهراً للمتأمل وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (الأنعام: ١٦٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧) فأخبر سبحانه أنه زين الأرض بما عليها من المال وغيره للابتلاء والامتحان كما أخبر أنه خلق الموت والحياة لذلك وخلق السموات والأرض لهذا الابتلاء أيضاً.

فهذه ثلاثة مواضع في القرآن يخبر فيها سبحانه أنه خلق العالم العلوي والسفلي وما بينهما وأجل العالم وأجل أهله وأسباب معائشهم التي جعلها زينة للأرض من الذهب والفضة والمساكن والمراكب والزروع والثمار والحيوان والنساء والبنين وغير ذلك كل ذلك خلقه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه أيهم أطوع له وأرضى فهو الأحسن عملاً.

وهذا هو الحق الذي خلق به وله السموات والأرض وما بينهما وغايته الثواب والعقاب وفواته وتعطيله هو العبث الذي نزه نفسه عنه وأخبر أنه يتعالى عنه وأنه ملكه الحق وتفرده بالإلهية وحده وبربوبية كل شيء ينفي هذا الظن الباطل والحساب الكاذب كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦). فنزه سبحانه نفسه عن ذلك كما نزهها عن الشريك والولد والصاحب وسائر العيوب والنقائص من السنة والنوم واللغوب والحاجة واكتراثه بحفظ السموات والأرض وتقدم الشفعاء بين يديه بدون إذنه كما يظنه أعدائه المشركون يخرجون عن علمه جزيئات العالم أو شيئاً منها فكما أن كماله المقدس وكمال أسمائه وصفاته يأبى ذلك ويمنع منه فكذلك يبطل خلقه لعباده عبثاً وتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يردهم إليه فيثيب محسنهم بإحسانه ومسيئهم بإساءته ويعرف المبطلون منهم أنهم كانوا كاذبين ويشهدهم أن رسله، وأتباعهم كانوا أولى بالصدق والحق منهم فمن أنكر ذلك، فقد أنكر إلهيته وربوبيته وملكه الحق وذلك عين الجحود والكفر به سبحانه كما قال المؤمن لصاحبه الذي حاوره في المعاد وأنكره: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف: ٣٧) فأخبر أن إنكاره للمعاد كفرٌ بذات الرب سبحانه وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ (الرعد: ٥). وذلك أن إنكار المعاد يتضمن إنكار قدرة الرب وعلمه وحكمته وملكه الحق وربوبيته وإلهيته كما أن تكذيب رسله وجحد رسالتهم يتضمن ذلك أيضاً فمن كذب رسله وجحد المعاد فقد أنكر ربوبيته سبحانه ونفى أن يكون رب العالمين.

والمقصود أنه سبحانه وتعالى خلق الغنى والفقر مطيتين للابتلاء والامتحان ولم ينزل المال لمجرد الاستمتاع به كما في المسند عنه ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: إنا نزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له ثان لابتغى له ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**». فأخبر سبحانه أنه أنزل المال ليستعان به على إقامة حقه بالصلاة وإقامة حق عباده بالزكاة لا للاستمتاع والتلذذ كما تأكل الأنعام فإذا زاد المال عن ذلك أو خرج عن هذين المقصودين فإن الغرض والحكمة التي أنزل لها كان التراب أولى به فرجع هو والجوف الذي امتلأ به بما خلق له من الإيمان والعلم والحكمة فإنه خلق لأن يكون وعاء لمعرفة ربه وخالقه والإيمان به ومحبته وذكره وأنزل عليه من المال ما يستعين به على ذلك فعطل الجاهل بالله وبأمر الله وبتوحيد الله وبأسمائه وصفاته جوفه عما خلق له، وملأه بمحبة المال الفاني الذاهب الذي هو ذاهب عن صاحبه أو بالعكس وجمعه والاستكثار منه ومع ذلك فلم يمتلئ بل ازداد فقراً وحرصاً إلى أن امتلأ جوفه بالتراب الذي خلق منه، فرجع إلى مادته الترابية التي خلق منها هو وماله ولم تكتمل مادته بامتلاء جوفه من العلم والإيمان الذي بهما كماله وفلاحه وسعادته في معاشه ومعاده فالمال إن لم ينفع صاحبه ضره ولابد وكذلك العلم والملك والقدرة كل ذلك إن لم ينفعه ضره فإن هذه الأمور وسائل لمقاصد يتولى بها إليها في الخير والشر فإن عطلت عن التوسل بها إلى المقاصد والغايات المحمودة توسل بها إلى أضدادها.

فأربح الناس من جعلها وسائل إلى الله والدار الآخرة وذلك الذي ينفعه في معاشه ومعاده وأخسر الناس من توسل بها إلى هواه ونيل شهواته وأغراضه العاجلة فخسر الدنيا والآخرة فهذا لم يجعل الوسائل مقاصد ولو جعلها كذلك لكان خاسراً لكنه جعلها وسائل إلى ضد ما جعلت له فهو بمثابة من توسل بأسباب اللذة إلى أعظم الآلام وأدوائها.

فالأقسام أربعة، لا خامس لها: **أحدها**: معطل الأسباب معرض عنها. **الثاني**: مكب عليها واقف مع جمعها وتحصيلها. **الثالث**: متوصل بها إلى ما

يضره ولا ينفعه في معاشه ومعاده فهؤلاء الثلاثة في الخسران. **الرابع**: متوصل بها إلى ما ينفعه في معاشه ومعاده وهو الرابع قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ (هود: ١٥ ـ ١٦).

وقد أشكل فهم هذه الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها أن من كان له إرادة في الدنيا وزينتها، فله هذا الوعيد، ثم اختلفوا في معناها. فقالت طائفة منهم ابن عباس: من كان يريد تعجيل الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب، قالوا: والآية في الكفار خاصة على قول ابن عباس.

وقال قتادة: من كانت الدنيا همَّه وسدمه ونيته وطلبته جازاه الله في الدنيا بحسناته ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها وأما المؤمن فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة قال هؤلاء فالآية في الكفار بدليل قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٦) قالوا: والمؤمن يريد الدنيا والآخرة فأما من كانت إرادته مقصورة على الدنيا فليس بمؤمن.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح عنه: نزلت في أهل القبلة قال مجاهد: هم أهل الرياء وقال الضحَّاك: من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوى عجل له ثواب عمله في الدنيا، واختار الفراء هذا القول، وقال: من أراد بعمله من أهل القبلة ثواب الدنيا عجل له ثوابه ولم يبخس وهذا القول أرجح ومعنى الآية على هذا: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهذا لا يكون مؤمناً البتة فإن العاصي والفاسق ولو بالغا في المعصية والفسق فإيمانهما يحملهما على أن يعملا أعمال البر لله فيريدان بأعمال البر وجه الله وإن عملا بمعصيته.

فأما من لم يرد بعمله وجه الله وإنما أراد به الدنيا وزينتها فهذا لا يدخل في دائرة أهل الإيمان، وهذا هو الذي فهمه معاوية من الآية واستشهد بها على حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في صحيحه في الثلاثة الذين هم أول مَنْ تسعر

بهم النار يوم القيامة: **«القارىء الذي قرأ القرآن ليقال فلان قارىء، والمتصدق الذي أنفق أمواله ليقال فلان جواد، والغازي الذي قتل في الجهاد ليقال هو جريء»**.

وكما أن خيار خلق الله هم النبيون والصدّيقون، والشهداء، والصالحون فَشرار الخلق من تشبه بهم وليس منهم: فمن تشبه بأهل الصدق والإخلاص وهو مراء كمن تشبه بالأنبياء وهو كاذب.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن إدريس قال: أخبرني عبد الحميد ابن صالح حدثنا: قطن بن الحباب عن عبد الوارث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله عز وجل للدنيا، وفرقة يعبدون رياء وسمعة، وفرقة يعبدونه لوجهه ولداره، فيقول للذين كانوا يعبدونه للدنيا: بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزتك وجلالك ومكانك الدنيا، فيقول: إني لم أقبل من ذلك شيئاً، اذهبوا بهم إلى النار. ويقول للذين كانوا يعبدون رياء وسمعة: بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزتك، وجلالك، ومكانك رياء وسمعة، فيقول: إني لم أقبل من ذلك شيئاً، اذهبوا بهم إلى النار. ويقول للذين كانوا يعبدونه لوجهه وداره: بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزتك، وجلالك، وجهك ودارك، فيقول: صدقتم اذهبوا بهم إلى الجنة»**. هذا حديث غني عن الإسناد والقرآن والسنة شاهدان بصدقه ويدل على صحة هذا القول في الآية قوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ (هود: ١٥) وذلك على أنها في قوم لهم أعمال لم يريدوا بها وجه الله وإنما أرادوا بها الدنيا ولها عملوا فوفاهم الله ثواب أعمالهم فيها من غير بخس وأفضوا إلى الآخرة بغير عمل يستحقون عليه الثواب وهذا لا يقع ممن يؤمن بالآخرة إلا كما يقع منه كبائر الأعمال وقوعاً عارضاً يتوب منه ويراجع التوحيد.

وقال ابن الأنباري: فعلى هذا القول المعنى في قوم من أهل الإسلام يعملون العمل الحسن لتستقيم به دنياهم غير متفكرين في الآخرة وما ينقلبون إليه

فهؤلاء يجعل لهم جزاء حسناتهم في الدنيا فاذا جاءت الآخرة كان جزاؤهم عليها النار إذا لم يريدوا بها وجه الله ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره.

ثم أورد أصحاب هذا القول على أنفسهم سؤالاً قالوا: فإن قيل: الآية الثانية على هذا القول توجب تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار وأجابوا عنه: بأن ظاهر الآية يدل على أن من راءى بعمله ولم يلتمس به ثواب الآخرة بل كانت نيته الدنيا فإن الله يبطل إيمانه عند الموافاة فلا يوافي ربه بالإيمان قالوا: ويدل عليه قوله: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٦) وهذا يتناول أصل الإيمان وفروعه.

وأجابت فرقة أخرى: بأن الآية لا تقتضي الخلود الأبدي في النار وإنما تقتضي أن الذي يستحقونه في الآخرة النار، وأنهم ليس لهم عمل صالح يرجون به النجاة فإذا كان مع أحدهم عمود التوحيد فإنه يخرج به من النار مع من يخرج من أصحاب الكبائر الموحدين وهذا جواب ابن الانباري وغيره، والآية بحمد الله لا إشكال فيها والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهو النار وأخبر بحبوط عمله وبطلانه فإذا أحبط ما ينجو به وبطل لم يبق معه ما ينجيه فإن كان معه إيمان لم يرد به الدنيا وزينتها بل أراد الله به والدار الآخرة لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل وأنجاه ايمانه من الخلود في النار وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة، والإيمان إيمانان: إيمان يمنع من دخول النار وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله يبتغى بها وجهه وثوابه وإيمان يمنع الخلود في النار وإن كان مع المرائي شيء منه وإلا كان من أهل الخلود فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد والله الموفق وذلك قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ (الشورى: ٢٠) ومنه قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ (الإسراء: ١٨ ـ ١٩).

فهذه ثلاث مواضع في القرآن يشبه بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً وتجتمع على معنى واحد وهو أن من كانت الدنيا مراده ولها يعمل في غاية سعيه لم يكن له في الآخرة نصيب ومن كانت الآخرة مراده ولها عمل وهي غاية سعيه فهي له.

بقي أن يقال: فما حكم من يريد الدنيا والآخرة فإنه داخل تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق؟ قيل: من ههنا نشأ الإشكال وظن من ظن من المفسرين أن الآية في حق الكافر فإنه هو الذي يريد الدنيا دون الآخرة، وهذا غير لازم طرداً ولا عكساً فإن بعض الكفار قد يريد الآخرة وبعض المسلمين قد لا يكون مراده إلا الدنيا والله تعالى قد علق السعادة بإرادة الآخرة والشقاوة بإرادة الدنيا فإذا تجردت الإرادتان تجرد موجبهما ومقتضاهما وإن اجتمعتا فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور والطاعة والمعصية والإيمان والشرك في العبد: وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسل: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ (آل عمران: ١٥٢). وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة ولم يكن فيهم منافق ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما شعرت أن أحد أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية والذين أوردوا في هذه الآية هم الذين أخلوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه وهم من خيار المسلمين ولكن هذه إرادة عارضة حملتهم على ترك المركز والإقبال على كسب الغنائم بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها فهذه الإرادة لون وإرادة هؤلاء لون.

وههنا أمر يجب التنبيه له وهو أنه لا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله ورسوله ولقائه، أبداً، فإن الإيمان بالله والدار الآخرة يستلزم إرادة العبد لرحمة الله والدار الآخرة بأعماله، فحيث كان مراده بها الدنيا، فهذا لا يجامع الإيمان أبداً وإن جامع الإقرار والعلم، فالإيمان وراء ذلك، والإقرار والمعرفة حاصلان لمن شهد الله سبحانه له بالكفر مع هذه المعرفة كفرعون، وثمود، واليهود الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وعرفوه كما عرفوا

أبناءهم وهم من أكفر الخلق كإرادة الدنيا وعاجلها بالأعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم ولكن الإيمان الذي هو وراء ذلك لا بد ان يريد صاحبه بأعماله الله والدار الآخرة. والله المستعان..

فصل [في أن الغنى والفقر ابتلاء]

والمقصود أنه سبحانه جعل الغنى والفقر ابتلاء وامتحاناً للشكر والصبر والصدق والكذب والإخلاص والشرك قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (الأنعام: ١٦٥). وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ (العنكبوت: ١ ـ ٣). وقال تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ (الأنفال: ٢٨). فجعل الدنيا عرضاً عاجلاً ومتاع غرور وجعل الآخرة دار جزاء وثواب وحف الدنيا بالشهوات وزينها بها كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤﴾ (آل عمران: ١٤). فأخبر سبحانه أن هذا الذي زين به الدنيا من ملاذها وشهواتها وما هو غاية أماني طلابها ومؤثريها على الآخرة، وهو سبعة أشياء: النساء اللاتي هن أعظم زينتها وشهواتها وأعظمها فتنة والذهب والفضة اللذين هما مادة الشهوات على اختلاف أجناسها وأنواعها والخيل المسومة التي هي عز أصحابها وفخرهم وحصونهم وآلة قهرهم لأعدائهم في طلبهم وهربهم والأنعام التي منها ركوبهم وطعامهم ولباسهم وأثاثهم وأمتعتهم وغير ذلك من مصالحهم والحرث الذي هو مادة قوتهم وقوت أنعامهم ودوابهم وفاكهتهم وأدويتهم وغير ذلك.

ثم أخبر سبحانه أن ذلك كله متاع الحياة الدنيا ثم شوق عباده الى متاع الآخرة وأعلمهم أن خير من هذا المتاع وأبقى فقال: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥﴾ (آل عمران: ١٥). ثم ذكر

سبحانه من يستحق هذا المتاع ومن هم أهله الذين هم أولى به فقال: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ (آل عمران: ١٦ ـ ١٧). فأخبر سبحانه أن ما أعد لأوليائه المتقين من متاع الآخرة خير من متاع الدنيا وهو نوعان: ثواب يتمتعون به وأكبر منه وهو رضوانه عليهم قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ (الحديد: ٢٠). فأخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهداً لأولي البصائر، وأنها لعب ولهو تلهو بها النفوس، وتلعب بها الأبدان، واللعب واللهو لا حقيقة لهما وأنهما مشغلة للنفس مضيعة للوقت يقطع بها الجاهلون العمر فيذهب ضائعاً في غير شيء، ثم أخبر أنها زينة زينت للعيون، وللنفوس فأخذت بالعيون وبالنفوس استحساناً ومحبة ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها ومصيرها لأبغضتها ولآثرت عليها الآخرة ولما آثرتها على الآجل الدائم الذي هو خير وأبقى.

قال «**الإمام أحمد**»: حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكبٍ قال في ظل شجرة في يومٍ صائف، ثم راح وتركها**».

وفي «**جامع الترمذي**» من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**». قال الترمذي: حديث صحيح وفي «**صحيح مسلم**» من حديث المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما يرجع**» وأشار بالسبابة.

وفي الترمذي من حديثه قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها**» قالوا: ومن هوانها ألقوها يا رسول الله؟ قال: «**فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها**».

وفي الترمذي أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً»**. والحديثان حسنان.

قال الإمام أحمد: حدثنا هيثم بن خارجة أنبأنا إسماعيل بن عياش بن عبد الله بن دينار النهراني قال: قال عيسى ـ عليه السلام ـ للحواريين: **«بحق أقول لكم إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين بحق أقول لكم: إن شركم عملاً عالم يحب الدنيا ويؤثرها على الآخرة إنه لو يستطيع جعل الناس كلهم في عمله مثله»**.

وقال أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق قال: أخبرني سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: **«قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر داراً قالوا: يا روح الله ومن يقدر على ذلك قال: إياكم والدنيا فلا تتخذوها قرارا»**. وفي كتاب **«الزهد»** لأحمد: أن عيسى ابن مريم عليه السلام كان يقول: **«بحق أقول لكم أن أكل الخبز، وشرب الماء العذب ونوماً على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد أن يرث الفردوس»**.

وفي **«المسند»** عنه ﷺ: **«إن الله ضرب طعام ابن آدم مثلاً للدنيا، وإن قزحه وملحه فلينظر إلى ماذا يصير»**.

فصل الدنيا والمفاخرة بمتاعها

ثم أخبر سبحانه وتعالى عنها أنها يفاخر بعضنا بعضاً بها فيطلبها ليفخر بها على صاحبه وهذا حال كل من طلب شيئاً للمفاخرة من مال أو جاه أو قوة أو علم أو زهد.

والمفاخرة نوعان: مذمومة، ومحمودة، فالمذمومة: مفاخرة أهل الدنيا بها، والمحمودة: أن يطلب المفاخرة في الآخرة فهذه من جنس المنافسة المأمور بها وهي أن الرجل ينفس على غيره بالشيء ويغر أن يناله دونه ويأنف من ذلك ويحمى أنفه له، يقال: نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة: إذا ضننت به ولم تحب

أن يصير إليه دونك والتنافس: تفاعل من ذلك كأن كل واحد من المتنافسين يريد أن يسبق صاحبه إليه وحقيقة المنافسة: الرغبة التامة والمبادرة والمسابقة إلى الشيء النفيس.

فصل حقيقة ما عليه الناس في الدنيا

ثم أخبر تعالى عنها أنها تكاثر في الأموال والأولاد فيجب على كل واحد أن يكثر بني جنسه في ذلك ويفرح بأن يرى نفسه أكثر من غيره مالاً وولداً وأن يقال فيه ذلك وهذا من أعظم ما يلهي النفوس عن الله والدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ (التكاثر: ١ ـ ٤). والتكاثر في كل شيء فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن الله والدار الآخرة فهو داخل في حكم هذه الآية فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه، أو بالعلم فيجمعه تكاثراً وتفاخراً وهذا أسوأ حالاً عند الله ممن يكاثر بالمال والجاه فإنه جعل أسباب الآخرة للدنيا وصاحب المال والجاه استعمل أسباب الدنيا لها وكاثر بأسبابها.

فصل واقع مصير الدنيا

ثم أخبر سبحانه عن مصير الدنيا وحقيقتها وأنها بمنزلة غيثٍ أعجب الكفار نباته والصحيح، إن شاء الله، أن الكفار هم الكفار بالله وبذلك عرف القرآن حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع ولو أراد الزراع لذكرهم باسمهم الذي يعرفونه به كما ذكرهم به في قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ (الفتح: ٢٩). وإنما خص الكفار به لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا فإنها دارهم التي لها يعملون ويكدحون. فهم أشد إعجاباً بزينتها، وما فيها، من المؤمنين ثم ذكر سبحانه عاقبة هذا النبات وهو اصفراره ويبسه وهذا آخر الدنيا ومصيرها ولو ملكها العبد من أولها إلى آخرها فنهايتها ذلك، فإذا كانت الآخرة انقلبت الدنيا، واستحالت إلى عذاب شديد أو مغفرة من الله وحسن ثوابه وجزائه، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ومطلب نجح لمن سالم فيها مساجد أنبياء الله ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته ومتجر أوليائه فيها اكتسبوا الرحمة وربحوا فيها العافية فمن ذا يذمها وقد آذنت بنيها ونعت نفسها وأهلها فتمثلت ببلائها وشوقت بسرورها إلى السرور تخويفاً وتحذيراً وترغيباً فذمها قوم غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم فذكروا ووعظتهم فاتعظوا، فيا أيها الذام للدنيا المغتر بتغريرها متى استذمت إليك بل متى غرتك أبمنازل آبائك في الثرى أم بمضاجع أمهاتك في البلاء كم رأيت موروثاً كم عللت بكفيك عليلاً كم مرضت مريضاً بيديك تبتغي له الشفاء وتستوصف له الأطباء ثم لم تنفعه شفاعتك ولم تسعفه طلبتك مثلت لك الدنيا غداة مصرعه مصرعك ومضجعه مضجعك ثم التفت الى المقابر فقال: يا أهل الغربة ويا أهل التربة أما الدور فسكنت وأما الأموال فقسمت وأما الأزواج فنكحت فهذا خبر ما عندنا فهاتوا خبر ما عندكم ثم التفت إلينا فقال أما لو أذن لهم لأخبروهم أنا خير الزاد التقوى.

فالدنيا في الحقيقة لا تذم وإنما يتوجه الذم إلى فعل العبد فيها وهي قنطرة أو معبر إلى الجنة أو إلى النار ولكن لما غلبت عليها الشهوات والحظوظ والغفلة والإعراض عن الله والدار الآخرة فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها وهو الغالب على اسمها صار لها اسم الذم عند الإطلاق وإلا فهي مبنى الآخرة ومزرعتها ومنها زاد الجنة وفيها اكتسبت النفوس الإيمان ومعرفة الله ومحبته وذكره ابتغاء مرضاته وخير عيش ناله أهل الجنة في الجنة إنما كان بما زرعوه فيها وكفى بها مدحاً وفضلاً لأولياء الله فيها من قرة العيون وسرور القلوب وبهجة النفوس ولذة الأرواح والنعيم الذي لا يشبهه نعيم بذكره ومعرفته ومحبته وعبادته والتوكل عليه والإنابة إليه والأنس به والفرح بقربه والتذلل له ولذة مناجاته والإقبال عليه والاشتغال به عمن سواه وفيها كلامه ووحيه وهداه وروحه الذي ألقاه من أمره فأخبر به من شاء من عباده، ولهذا فضل ابن عقيل وغيره هذا على نعيم الجنة، وقالوا: هذا حق الله عليهم وذاك حظهم ونعيمهم وحقه أفضل من حقهم، قالوا: والإيمان والطاعة أفضل من جزائه.

والتحقيق أنه لا يصح التفضيل بين أمرين في دارين مختلفين ولو أمكن اجتماعهما في دار واحدة لأمكن طلب التفضيل والإيمان والطاعة في هذه الدار أفضل ما فيها ودخول الجنة والنظر إلى وجه الله جل جلاله وسماع كلامه والفوز برضاه أفضل ما في الآخرة، فهذا أفضل ما في هذه الدار وهذا أفضل ما في الدار الأخرى، ولا يصح أن يقال: فأي الأمرين أفضل فهذا أفضل الأسباب وهذا أفضل الغايات وبالله التوفيق.

فصل دعوة العباد إلى مرضاة الله

ولما وصف سبحانه حقيقة الدنيا وبين غايتها ونهايتها وانقلابها في الآخرة إلى عذاب شديد ومغفرة من الله وثواب أمر عباده بالمسابقة والمبادرة إلى ما هو خير وأبقى وأن يؤثروه على الفاني المنقطع المشوب بالأنكاد والتنغيص ثم أخبر أن ذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف: ٤٥). ثم ذكر سبحانه أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا وأن الباقيات الصالحات وهي الأعمال والأقوال الصالحة التي يبقى ثوابها ويدوم جزاؤها خير ما يؤمله العبد ويرجو ثوابه وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (يونس: ٢٤).

ولما أخبر عباده عن آفات هذه الدار دعا عباده إلى دار السلام التي سلمت من التغير والاستحالة والزوال والفناء وعم عباده بالدعوة اليها عدلاً وخص من شاء بالهداية إلى طريقها فضلاً.

وأخبر سبحانه أن الأموال والأولاد لا تقرب الخلق إليه وإنما يقربهم إليه تقوى الله ومعاملته فيهم وحذر سبحانه عباده أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن

ذكره وأخبر أن من فعل ذلك فهو الخاسر حقيقة لا من قل ماله وولده في الدنيا ونهى نبيه ﷺ أن يمد عينيه إلى ما متع به أهل الدنيا فيها فتنة لهم واختباراً وأخبر أن رزقه الذي أعده له في الآخرة خير وأبقى من هذا الذي متعوا به وأخبر سبحانه أنه آتاه السبع المثاني والقرآن العظيم وذلك خير وأفضل مما متع به أهل الدنيا في دنياهم وجعل ما آتاه مانعاً له من مد عينيه إلى ذلك فهذا العطاء في الدنيا وما ادخر له من رزق الآخرة خير مما متع به أهل الدنيا فلا تمدن عينيك.

فصل [الصبر والشكر مطيتا الإيمان]

وإذا عرف أن الغنى والفقر والبلاء والعافية فتنة وابتلاء من الله لعبده تمتحن بها صبره وشكره علم أن الصبر والشكر مطيتان للإيمان لا يحمل إلا عليهما ولا بد لكل مؤمن منهما وكل منهما في موضعه أفضل فالصبر في مواطن الصبر أفضل والشكر في مواضع الشكر أفضل هذا إن صح مفارقة كل واحد منهما للآخر، وأما إذا كان الصبر جزء مسمى الشكر والشكر جزء مسمى الصبر وكل منهما حقيقة مركبة من الأمرين معاً كما تقدم بيانه، فالتفضيل بينهما لا يصح إلا إذا جرد أحدهما عن الآخر، وذلك فرض ذهني يقدره الذهن ولا يوجد في الخارج ولكن يصح على وجه، وهو أن العبد قد يغلب صبره على شكره الذي هو قدر زائد على مجرد الصبر من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فلا يبقى فيه اتساع لغير صبر النفس على ما هو فيه القوة الواردة وضيق المحل فتنصرف قواه كلها إلى كف النفس وحبسها لله وقد يغلب شكره، بالأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة على قوة كفه لنفسه وحبسها لله فتكون قوة إرادته وعمله أقوى من قوة امتناعه وحبس نفسه.

واعتبر هذا بشخصين: أحدهما حاكم على نفسه متمكن من حبسها عن الشهوات قليل التشكي للمصيبات وذلك جل عمله وآخر كثير الإعطاء لفعل الخير القاصر والمتعدي سمح النفس ببذل المعروف وآخر ضعيف النفس عن قوة الصبر فللنفس قوتان: قوة الصبر والكف وإمساك النفس وقوة البذل وفعل الخير والإقدام على فعل ما تكمل به وكمالها باجتماع هاتين القوتين فيها، والناس في

ذلك أربع طبقات: فأعلاهم من اجتمعت له القوتان وسفلتهم من عدم القوتين ومنهم من قوة صبره أكمل من قوة فعله وبذله ومنهم من هو بالعكس في ذلك فإذا فضل الشكر على الصبر فإما أن يكون باعتبار ترجيح مقام على مقام وإما أن يكون باعتبار تجريد كل من الأمرين عن الآخر وقطع النظر عن اعتباره وتمام إيضاح هذا بمسألة الغني الشاكر والفقير الصابر فلنذكر لها باباً يخصها ويكشف عن الصواب فيها.

□

obeikandl.com